في زوايا العربية

آراء وملاحظات

— ٣ —

(زوايا في علم النحو)

أول هذه الزوايا التي اعنيها وجود غموض حكم في جواب النهي والنفي نحو قولك : « لا تخرج من هذا المكان تر العجب — أو — فترى العجب — أو — فالتعجب يكون نصيبك » ومثله : « الا تخرج من هذا المكان تر العجب — او — فترى العجب — او — فالتعجب يكون نصيبك » فلا تعلم انت ولا غيرك هل رؤيتك العجب اي للأمر العجيب مترتبة على خروجك أم على عدم خروجك من هذا المكان . فإن معنى العبارة يحتمل الوجهين قياساً على ما نعرفه من الكلام الفصيح في مثل هذا التركيب . فالواجب ان ينص في القاعدة النحوية على كون الحكم الواقع في الجواب نتيجةً إما للفعل السابق باعتباره مجرداً وإما لعدم هذا الفعل باعتبار الداخل عليه من نفي أو نهي . لا ان يبقى الحكم متردداً بين الطرفين . ولا يصح الاعتذار عن هذا الجواز وهذا التردد بوجود قرينة تبين المعنى المراد . فان هذه القرينة قد تظهر نحو قولك : « لا تقترب من النار فتحترق » وقولك « لا تقترب من النار فتسلم » فان السامع يعلم ان العبارة الأولى تنذرك بالاحتراق اذا اقتربت من النار والعبارة الثانية تعدك بالسلامة اذا لم تقترب من النار . ولكن القرينة العقلية التي نحتاج اليها قد لا يظهر لها اثر كالمثال السابق : « لا تخرج من هذا المكان فترى العجب » أو كقولك : « لا تزر زيداً فيزورك بكرٌ » فان السامع تعوزه فيهما وفي امثالهما روح البنوة لكي يدرك نية المتكلم .

وعلى ذكر النفي أذكر نوعين من « لا » الموضوعة في الأصل للنفي . الأولى « لا » التي يسمونها زائدة نحو قولك : « فلان لا يضر ولا ينفع » فان لا الثانية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يعربونها زائده . وشرط الحرف الزائد ان يبقى المعنى على حاله بعد حذفه . فاذا قلنا : « فلان لا يضر ولا ينفع » كان معادلاً في المعنى لقولنا : « فلان لا يضر وينفع » نافين عنه الضرر والنفع كليهما . وارى ان في المسألة نظراً وان حكمهم المذكور ليس مطرداً . والا فكيف نصنع بقول الشاعر من مدّاح البرامكة في المئة الثانية للهجرة وهو عصر قديم في أدبنا متاخم للعصر الأموي بحيث يعتمد على فصاحة أهله وصحة آرائهم . قال المادح :

عنـد الملوك مضرّةٌ ومنافع وأرى البرامك لاتضرُّ وتنفعُ

وبديهي انه اراد نفي الضرر عنهم واثبات النفع لهم لا نفيه كما نفى الضرر .

وأما « لا » الثانية فهي التي يسمونها حرف عطف وان بقي لها وضعها في افادة النفي نحو قولنا : « زارنا زيد لا أخوه » فهم يقولون : لا حرف نفي . اخوه معطوف على زيد تبعه في اعرابه . — نعم انه تبعه في الاعراب ولكنه بواسطة لا خالفه في المعنى . فمن الحزازة في صدر المعرب ان يقول ان هذا الجزء من الكلام معطوف على ذاك والجزآن متناقضان . ومن لطف الحيلة على ما أظن ان يقال « لا » حرف عطف تعطف ما بعدها عما قبلها (لا عليه) اخوه معطوف عن زيد تبعه في اعرابه .

وقد فكرت في هذه الواو التي تتقدم « إن » و « لو » الشرطيتين المستغنيتين عن الجواب ويسمونها حينئذ إن ولو الوصليتين نحو قولك « ارعَ مودة الصديق ولو قصر في مساعدتك — او — وان قصر في مساعدتك » قالوا ان هذه الواو هي الواو الحالية والجملة الواقعة بعدها في محل النصب على كونها حالاً وهو اعراب أراه يحوم حول الصواب ولكنه لا يصيب شاكلة الصواب بل الذي اراه اقرب الى الصحة وأتمّ انطباقاً على المعنى المقصود كون هذه الواو هي واو العطف نفسها عاطفة ما بعدها على شيء قبلها حذف لدلالة القرينة عليه . فاذا قلنا « ارع مودة الصديق وان قصر في مساعدتك » كان التأويل هكذا : « ارع مودة الصديق ان لم يقصر في مساعدتك وان قصر » ومثل ذلك قولنا : « سأبذل جهدي في هذا الأمر وان كان املي بالنجاح ضعيفاً » والتأويل : « ان لم يكن املي بالنجاح ضعيفاً وان كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ضعيفاً » وقولنا « احسنت الى فلان ولو لم انتظر منه وفاء » والتأويل « لو انتظرت منه وفاءه ولو لم انتظره » الخ . واذا اعربنا الواو في مثل هذه التراكيب حرف عطف فلا بد من اعراب الجملة الواقعة بعد إن ولو ابتدائية لا محل لها .

وكثيراً ماالتفتُّ الى « ليس » المشهور انها فعل جامد فرأيت القول بحرفيتها في بعض احوالها مما قال به جماعة من النحاة غير بعيد عن الصواب وذلك اذا وليها فعل نحو قولك : « ليس ينفعك الا الصبر » فجعل ليس حرف نفي مثل « ما » أولى واقل تكلفاً من جعلها فعلاً وجعل اسمها ضمير شأن مضمراً . وكذلك اذا اكتفى بايراد اسم مرفوع بعد ليس نحو قولنا : « امامنا البئر وليس ماءٌ » فمن المقبول الذي ينطبق على كثير من مناهج النحاة جعل ليس حرف نفي مثل ما او لا . واعراب ماءٌ مبتدأ وخبره محذوف وتقديره موجود . كما انه لا بأس ابقاء ليس على فعليتها بتقدير « وليس ماءٌ موجوداً » فالوجهان محتملان والتضييق باعتماد احدهما ورفض الآخر تعنت وعناد .

ومن مواضع النظر التي ينبغي ان يبت فيها قبول او رفض ما كان يختاره بنو تميم بشأن ليس وهم من القبائل الموثوق بعربيتها ولا تزيد على سبع أو ثماني قبائل منازلها في اواسط جزيرة العرب وقد اعتمد ائمة العربية كلامهم اكثر من اعتماد كلام غيرهم من سائر القبائل — اوجب التميميون الغاء عمل ليس اذا انتقض حكمها بإلا فهم يقولون « ليس الطيبُ الا المسك » يجعل الطيب مبتدأ والمسك خبره . وليس فعل جامد لإفادة النفي باطل عمله . فكأنهم في هذا المقام قالوا ضمناً بحرفية ليس .

ومما نحتاج اليه في كتبنا النحوية توحيد الحكم وصراحة النص من جهة قبول او رفض مجاراة الفعل للفاعل او نائب الفاعل في التثنية والجمع وهو ما يعبرون عنه بلغة « اكلوني البراغيث » ومن ذلك ان يقال « نفعاني ابواك » و « نفعوني اهلك » والمشهور افراد الفعل في هذه الحال بحيث يقال « نفعني ابواك — او — نفعني اهلك » . ولعلهم يجعلون امثلة هذا المذهب المروية عن القرآن الكريم وعن قدماء العرب مما يحفظ ولا يقاس عليه . والذي اذكره ان الشاعر الأمير ابا فراس الحمداني وهو من المولدين توفي في اواسط المئة الرابعة من الهجرة اختار هذا المذهب مرتين او اكثر في شعره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونحتاج الى صراحة الحكم في جواز ورود البدل وعطف البيان متعدداً . كما يرد متعدداً كل من الخبر والنعت والحال .

ومما جاء في شعر الحسن بن هانئ وهو ابو نواس في مطلع له مشهور :

دع عنك لومي فان اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فالوجه الأفصح ان يقول في ختام بيته : « كانت هي الداء » بنصب الداء على انه خبر كان وجعل الضمير المنفصل « هي » مؤكداً للضمير المستتر في « كانت » المحسوب اسمًا لها . ولكن الضرورة الجأت ابا نواس الى طريق آخر في الاعراب جاعلاً « هي » مبتدأ والداء خبره وجملة المبتدأ والخبر خبراً لكانت . ولا شك ان كثيرين غير ابي نواس سلكوا هذا المسلك في معمولات كان وغيرها من النواسخ : فهل نقر ذلك على اطلاقه ام نرفضه بتاتاً ام نقتصر على مسامحة الشعراء به معتبرين اياه في جملة الجوازات الشعرية .

ومن التعريفات النحوية التي تحير الدارس ولا يستفيد منها شيئاً قولهم في تعريف الضمير المتصل : « هو الذي لا يبتدأ به ولا يقع بعد الا » فاذا وصل الدارس الى « الا » رأى ان من حكمها عدم دخولها على ضمير متصل . فبأي نتيجة يخرج الدارس المسكين من هذا التعريف الذي يشبه الدور الملتوي من مواطن الغلط او المغالطة في علم المنطق . وقد ذكرتنا هذه المناسبة حادثة ذلك السكران الطافح المصري وقد لقيه الشرطي ليلاً وأراد إيصاله الى بيته فسأله :

— ساكن انت فين يا أفندي ؟

— الله الله . انا ساكن وّيا اخي .

— أما شيء جميل ! واخوك ساكن فين يا شاطر ؟

— الله الله ! هو ساكن وّياي .

— وانتم الاتنين ساكنين فين ؟

— ساكنين وّيا بعضنا .

وبعد ما يهتدي الشرطي بفضل هذه المحاورة الى بيت السكران يهتدي طالب النحو بفضل التعريف الآنف ذكره الى معرفة كنه الضمير المتصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقصارى القول ان اول واجباتنا القضاء على كل ما فيه لغو او سخافة او غموض من تعريفات واحكام لغتنا وهي شطحات نادرة الوجود كتعريف الضمير المتصل او ليس الأسهل ان يقال فيه هو ما اتصل في صورة الخط بما هو له من فعل او اسم فاذا انفصل عنه خطأ فهو الضمير المنفصل ويحصر في ألفاظ : هو وانت وانا واياي واخواتها تذكيراً وتأنيثاً وافراداً وتثنيةً وجمعاً .

ومما يجب التنبيه عليه في احكام الجملة النحوية ان جملتين او اكثر من جملتين في عبارة واحدة قد تحسب بمجموعها جملة عامة ذات حكم خصوصي . وقد لا تحسب لها هذه الوحدة بل تظل كل جملة منها مكتفية بالحكم الذي يصلح لها وذلك حسب موقعها في الكلام . ولأجل ايضاح هذه النظرية اقدم مثالاً عليها ؛ اليك العبارة الآتية : « اذا سافر جارك رافقه ابنه » فهذه العبارة ذات جملتين . الجملة الأولى « سافر جارك » وهي في محل جر بإضافة اذا اليها . والجملة الثانية « رافقه ابنه » ولا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم . هذا كل ما يقال في اعراب الجملتين من هذه العبارة . وحين نحولها الى الصورة الآتية : « قال لي فلان اذا سافر جارك رافقه ابنه » يبقى لكل من الجملتين في العبارة حكمها السابق ذكره ثم يضاف الى الجملتين حكم ثالث عام كأن الجملتين بمثابة جملة واحدة اذ ينبغي للمعرب ان يقول : « وجملة فعل الشرط مع جوابه اي اذا وفعلها وجوابها في محل النصب مقولة القول او مفعول قال جاري » وحين تحول العبارة الى صورة ثالثة هكذا : « ان جارك اذا سافر رافقه ابنه » تصبح الجملة الموحدة المؤلفة من فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر إنّ . وقس على ما ذكر نظائره .

ومن الأبحاث التي يتصدى لها علم النحو وعلم البلاغة معاً قسمة الكلام الى كلام خبري وكلام انشائي فهم يقولون ان الكلام الخبري هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته اي بغض النظر عن قائله . وأما الكلام الانشائي فهو الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً . مثال الخبر ان يقال : « ينتظر هطول المطر — المطر نافع » ومثال الانشاء ان يقال : « ما انفعَ المطرَ — بئس الجفاف » والتعريف المذكور مقبول لا بأس به

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن يمكن تداركه بشيء من التدقيق والايضاح . ولكي ابين للقارئ ان التعريف الآنف ذكره تتخلله ثلمة وموضع اشتباه اخبره ان دارس العربية يفهم من شرح كتبه واساتذته ان قولنا : « ما انفعَ المطرَ » معناه : « شيءٌ عظيم جعل المطر نافعاً » وهذه العبارة داخلة في الكلام الخبري . والجملة المفسرة بها « ما انفعَ المطرَ » داخلة في الكلام الانشائي فكيف اداء المعنى بصورة معينة انشائياً وبصورة غيرها خبرياً . وقس على ذلك قولنا : « بئس الجفافُ » في الانشاء ومرادفه « الجفاف سيءٌ — او — الجفاف مذموم » في الخبر والصحيح ان بين الأدائين فارقاً وجدانياً يحتاج الدارس ان ينتبه اليه . وهذا الفارق هو ان الانسان بالقالب الانشائي لا يقتصر على الأداء البسيط باللسان او القلم بل يضيف الى ذلك تصويراً ذهنياً فالذي يقول « ما انفعَ المطرَ » هو بمثابة من يقول « ان المطر لنافع » ولكنه مع قوله ذاك يجتهد في تصوير هيئة الاعجاب والرضى مما يشعر به وهذا التصوير بالقالب الانشائي لا يستفاد بالقالب الخبري من الذي يقول : « ان المطر لنافع — او — شيء عظيم جعل المطر نافعاً » .

ومن ثمَّ ينبغي ان يقال في تعريف الانشاء والخبر : « ان الانشاء هو ما يصور المعنى ذهنياً بقوالب مخصوصة من الكلام . وبما ان قوام الاداء به صورة ذهنية كان غير محتمل للصدق والكذب . وأما الخبر فيشترط فيه احتمال الصدق والكذب لأن قوامه للتعبير لا التصوير » .

بقي علي ان اذكر من الزوايا النحوية وجوب ايراد المعاني المختلفة لكلمة مفردة واطلاع الدارس عليها دفعةً واحدةً في موطن واحد لئلا تكون له مدعاة ارتباك واعنات ذهن لا ان يوزع مختلف ما يراد من هذه اللفظة على عدة ابواب في النحو بصورة غير تامة الوضوح فبينما يكون القارئ قد استوعب ذهنه ان المفرد هو ما يقابل المثنى والجمع في هذا الموطن اذا به يرى المفرد في موطن آخر يقابل المضاف وشبه المضاف وفي موطن ثالث يرى له مؤدى جديداً غير الأولين . فالذي أراه ان تجمع كل المعاني المطلوبة لهذا الاصطلاح النحوي في حظيرة واحدة حسب الشرح الآتي أو ما يشاكله :

ان المراد بالمفرد عدة أمور هي هذه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المفرد ما كان مقابلاً للمثنى والجمع نحو رجل فهو مفرد بالنسبة الى رجلين ورجال ·

المفرد ما كان غير مضاف ولا مشبه بالمضاف نحو قولنا « راكبٌ » فهو مفرد بالنسبه الى قولنا « راكب الفرس » او « راكب فرساً » ·

المفرد هو ما يقابل الجملة وشبه الجملة فقولنا « تحصيل العلم » مفرد بالنسبة الى قولنا « تحصيل العلم نافع » فهو جملة · وقولنا « عند فلان علم » فهو شبه جمله ·

المفرد في باب العدد هو من الواحد الى العشرة ويلحق بها المئة والألف · فالعدد المفرد بهذا المعنى يقابل العدد المركب من احد عشر الى تسعة عشر · والعقود من عشرين فثلاثين فأربعين حتى تسعين · والعدد المعطوف من واحد وعشرين الى تسعة وعشرين ثم من واحد وثلاثين الى تسعة وثلاثين وهكذا على هذا الترتيب الى تسعة وتسعين ·

وعلى ذكر العدد نذكر معنى آخر للمفرد في ما يتعلق بالعدد وان كان هذا المعنى قلما يدخل في كلام النحاة بل في كلام الكتاب والرياضيين وهو ان العدد المفرد ويسمى ايضاً وتراً ما لا يقسم الى شطرين متساويين بل يبقى منه باقٍ هو واحد · فكل من هذه الأعداد ٣ — ٥ — ٧ — ٩ الخ هو عدد مفرد او عدد وِتر ويضاف اليها عدد ١ · ويقابل العدد المفرد العدد المزدوج ويسمى أيضاً [شفعاً] وهو ما ينقسم الى شطرين متساوين بغير باق مثل ٢ — ٤ — ٦ — ٨ — ١٠ — ٥٠٠ الخ ·

المفرد في باب موانع الصرف هو ما يقابل الاسم المركب نحو قولنا « زيدٌ » فهو مفرد بالنسبة الى « عبدالله » المركب تركيباً اضافياً · والى « معدي كرب » المركب تركيباً مزجياً والى « شاب قرناها » المركب تركيباً محكياً او تركيب حكاية ·

* * *

ولا بد لي من تذكير القارئ ان ما أوردته في اوائل هذا البحث من الأبواب السماعية يدخل بعضه في علم الصرف وبعضه في علم النحو ولكني استصوبت ايراده مجموعاً مستقلاً بنفسه لما بينه من رابطة السماع · وعلى السماع كان مدار الكلام هناك ·

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

زوايا في علم البيان

مما تناولته في غير هذا المقام بشأن علم البيان في فنونه الثلاثة المعاني والبيان والبديع ثلاثة أمور جوهرية اكره العودة الى اشباع الكلام فيها هنا ولكن سياق البحث يدعوني الى ايراد فحواها بالايجاز وهي هذه : الأمر الأول التداخل في بعض مباحث علم البيان مما يجب اجتنابه او على الأقل تنبيه الدارس الى مواضعه لكي يكون منه على بصيرة ومن ذلك الاحتراس والا يغال في البديع فهما من الاطناب في المعاني . والتهكم في البديع فهو الاستعارة التهكمية في البيان . والتشبيه والكناية والاستعارة ذكرت في البديع باعتبارها من المحسنات المعنوية كسائر تلك القوالب الجزئية مع انها اعظم قدراً بكثير فهي الأركان الأساسية لفن البيان وعليها يبنى إجماله وتفصيله . الى غير ذلك من التداخل الذي هو مدعاة حيرة للدارس الا اذا نُبه عليه عند الوصول الى مواضعه .

الأمر الثاني ان علم البلاغة يقتصر على جزئيات تراكيب الكلام في تقديم وتأخير . وحذف واثبات . واطلاق وتقييد . ووصل وفصل . واطناب وايجاز . ونحو ذلك . ولا ننكر اننا نستفيد من الالتفات الى هذه الجزئيات والعناية بها ووضع حدود ورسوم لها ولكن هناك من الكليات شيئاً كثيراً وهي احق بالالتفات والعناية لأن الاخلال بها يهدم بلاغة ما نريد اداءه من اوله الى آخره واما الاخلال بتلك الجزئيات فلا يهدم الا هذه الزاوية او تلك الناحية من الكلام لا الكلام المقصود بأسره . ولا بدع أن يكون الأمر كذلك ما دام قوام البلاغة مراعاة الكلام لمقتضى الحال وهذه المراعاة تتأتى في الدرجة الأولى عما أشير اليه وأريد به ايراد الفوائد والملاحظات والارشادات العامة لكل نوع من الموضوعات الكتابية والشعرية في ميادين المدح والهجو والرثاء والاعتذار والتنصل والتوبيخ والاستعطاف والتهديد وحسن التوصية والوصف والمداعبة وحسن المدافعة وقوة المهاجمة وغير ذلك . فإذا ظللنا على اغفال هذه الكليات مكتفين قانعين بتلك الجزئيات كان مثلنا مثل رجل عني بنقد وفحص الأدوات الصغيرة والمواعين البسيطة في داره ولم يهمه حسن تقسيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدار الى غرف منامة وغرف استراحة وغرف ضيافة وغرف طعام وطبخ وايواء مؤونة ولا الى حسن هندسة الأقسام في نسبة بعضها الى بعض ولا ما يلائم كلا منها من اثاث ورياش وزينات .

الأمر الثالث اعادة القسم الأكبر من المباحث البيانية والأنواع البديعية الى ثلاثة اركان هي : « الموافقة والمخالفة والترتيب » .

فعن الموافقة ينشأ الجمع والمشاكلة ومراعاة النظير وانواع الجناس والموازنة والتشطير والادماج والاستتباع والتشبيه والكناية والاستعارة والالتزام والسجع وغيرها .

وعن المخالفة ينشأ التفريق والجمع مع التفريق والطباق والمقابلة والتهكم وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح والاستدراك والاستثناء وغيرها .

وعن الترتيب ينشأ التدبيج والطي والنشر والاستطراد والتقسيم والتفويف والتعديد والتطريز والتلميح والتذييل وغيرها .

وأضيف هنا الى هذه الأمور الثلاثة ملاحظتين الأولى ان بعض كتبنا البيانية تذكر في أوائل فن البيان الدلالة الطبيعية والدلالة الالتزامية — والدلالتان من مباحث الفلسفة النظرية — فيتوقع الدارس ان يكون لها شأن عظيم في ما سيمر به من مباحث علم البيان فاذا هو لا يرى لها أثراً ولا يسمع عنها خبراً في سائر ابوابه . ولا خير في ذلك فانها خارجتان عن علم البيان . ولكن ما كان اجدر المؤلف بأن يهمل ذكرهما لأول وهلة فما معنى اشارته اليها بتلك الصورة السطحية المبهمة التي لا تسمن ولا تغني من جوع .

الملاحظة الثانية ان في باب الوصل والفصل من أبواب فن المعاني مجالاً لذكر مواقف عديدة يجوز فيها للبليغ الوصل والفصل اي استعمال الواو العاطفة وعدم استعمالها فليست كل المواقف خلافاً لما يطلع عليه الدارس في قواعد ذلك الباب تحتم على صاحبها إما باتباع الوصل واما باتباع الفصل بل يجوز الامران اذا لم يعترض لجواز مانع كالالتباس ونحوه . مثال ذلك ان يقول قائل « رثيتُ لتذلل فلان ووثقت به ثقةً لم تكن في موضعها . ان الكريم يُخدع » فيجوز في الجزء الأخير من هذه العبارة ان يقال « ان الكريم يُخدع — او — وان الكريم يخدع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— او — والكريم يخدع » وان يقال : « سيندم الظالمون على ما اقترفوه — سقيا لمرارة الندم عاقبةً وعقاباً » فيجوز أيضاً ان يقال « وسقيا لمرارة الندم الخ » . وقال ابو نواس :

يا حبذا سفوان من متربَّع ولربما جمعَ الهوى سفوانُ

فلو اسعفه وزن الشعر وقال « لربما جمع الهوى سفوان » لما كان عليه حرج . سفوان اسم موضع . متربَّع القوم ومرتبعهم المكان الذي يقضون فيه فصل الربيع .

وقال ربيعة بن مقروم الضبي من شعراء ديوان الحماسة لأبي تمام :

ودعوا نزال فكنتُ اول نازل وعلامَ اركبه اذا لم انزل

افما كان يجوز له استعمال الفصل بأن يقول « علام اركبه » لو ساعده عليه الوزن العروضي

وقال الحارث النهلي من شعراء الحماسة ايضاً :

وزعمتُ انْ لا حلوم لنا ان العصا قُرعتْ لذي الحلم

فلولا تقيده بالوزن لساغ له ان يقول : « وان العصا قرعت الخ » . وقال السموأل بن عادياء في لاميته الفخرية المشهورة :

سلي ان جهلتِ الناس عنا وعنهم وليس سواءً عالمٌ وجهولُ

فله ان يقول : « وليس سواء — او — فليس سواء » . واذا ضربنا صفحاً عن الوزن امكنه استعمال الفصل بحيث يقول « ليس سواء » .

* * *

زوايا في العروض والقافية

ان ما كان من كتبنا العروضية حاوياً بعض افاضة وتفصيل يذكر فيها ان جماعةً من شعرائنا في صدر الاسلام وفي ما يليه من عصور المولدين قبل وضع علمي العروض والقافية خالفوا ما عليه الجمهور من الاحكام بارتكاب حذف نون مفاعلين في الطويل ومن اشباع واختلاس في غير مواضعها المنصوص عليها ومن ارتكاب عيب انواع من المستاد في القافية في نحو : « قابلُ وتقابلوا » و« جاهلُ ويجهلُ » الى غير ذلك من الخلافات ولا نرى الأئمة حكموا بحظرها او بجواز القياس عليها ؛ فهل يليق بنا ترك هذا الموقف غامضاً يدعو الى المكابرة والمماحكة تارة والى سوء الجدال وكثرة القيل وقال طوراً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان الأكثرين يرون قبح الجمع في القوافي بين نحو «جاهل ومجهل» واقل منه قبحاً في نحو «سافروا ومسافر» فاذا كانت حركة الدخيل وهي الفاء هنا اختلفت بين الضم والكسر كان الأمر مقبولاً عندهم لأن الضم والكسر كليهما من الحركات الثقيلة بخلاف الفتح على احدهما والفتح حركة خفيفة . فهم لا يرون بأساً في قافية البيتين الآتيين .

توهم واشينا بليل مزاره فهمّ ليسعى بيننا بالتباعُدِ
فعانقته حتى اتجدنا تعانقاً فلما أتانا لم يجد غير واحدِ

وقد كثر في شعرنا العربي اختلاف رنة الصوت في القافية المقيدة اي الساكن رويها جامعين بالمنظومة الواحدة بين نحو «غريبْ وضروبْ» وبين نحو «همْ . ونَهمْ . ونُظمْ» . وهو عندهم يحسب عيباً ويسمونه سناد توجيه وأراهم على حق في حظرهِ لأن قوام احكام القافيه هو رنة الصوت واختلاف الرنة في ما ذكرناه اظهر وادعى الى نبو السمع من نحو «جاهل ويجهل» ولكننا مع ذلك لا نكاد نرى شاعراً قديماً او مولداً او معاصراً الا تسامح فيه فهل نظل على هذا التسامح ونقرره فينا ام نرجع الى احكام العروض والحكم الطبيعي في حاسة السمع فنقرر حظره .

* * *

زوايا في نقل الكلام المجازي الى لغتنا

مما يزيد في ميدان الأقلام بيننا زيادةً مطردة على مدى واسع كثرة ما ننقله ونحذو حذوه من الكلام الافرنجي . ولا شك ان من المصاعب والمتاعب في هذا السبيل نقل الألفاظ الفنية عندهم الى لفظ عربي فني عندنا قد يكون قديماً في كتب أدبنا فنبحث عنه ونثبته في موضعه ومن ثم نجدد له حياةً طيبة بعد ما كان دفيناً او شبه دفين . وقد لا نجد لهذا اللفظ الفني ما يعادله مما استعمله اسلافنا في العربية لأن معنى هذا اللفظ ومدلوله امر مستحدث نشأ عن تقدم الاكتشاف والاختراع والتحقيق العلمي او عن تعدد مصطلحات البشر في معايشهم واعمالهم ومعاملاتهم فلا بد لنا حينئذ من ان نتواطأ على لفظ له جديد في لغتنا عن طريق الاشتقاق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

او طريق التشبيه والاستعارة او طريق النحت اذا وسعنا سلطان النحت في لساننا كما فعل الفرنجة في السنتهم وقد سبقت الاشارة الى ذلك في اوائل بحثنا الحاضر . ان طوائف الألفاظ الفنية في صناعة وزراعة وتجارة وادارة وسياسة وجندية وقضاء وطب وبالاختصار في كل علم نظري او عملي تتألف منها مصاعب جمة ولكن الذي يهون خطبها انها على اتساع ميادينها وتشعب فروعها يمكن استقصاؤها او ما يقارب هذا الاستقصاء وتتسنى الاحاطة بها او الاحاطة بمعظمها في نصوص منظمة صريحة يحفظها الأديب او يرجع اليها في مظانها كلما خانه حفظه وخذلته ذاكرته فقد حوت الكتب الشيء الكثير من هذه الألفاظ الفنية . وما نحتاج فيه الى لفظ جديد لم تحوه الكتب يساعدنا المعنى المطلوب على التماس اللفظ الذي يلائمه . فهذه الناحية من التعريب لا تطلب منا اذن قواعد وارشادات وملاحظات عامة ما دام مرجعها الى النص والحفظ .

ولكن الصعوبة العظمى والعقبة الأشد وعورةً هي في نقل الكلام المجازي من لسان الافرنج الى لساننا حيث لا مطمع لنا في احاطة واستقصاء وايراد نصوص وحفظها ومن ثم يعوزنا في هذه الناحية الاستعانة بقواعد وملاحظات عامة نتخذ منها مقاييس لكل ما نود نقله من مجاز افرنجي الى مجاز عربي . وقد بسطت الكلام بسطاً كافياً بهذا الشأن في مقال ادرجته لي مجلة المجمع في جزء آذار ونيسان من سنة ١٩٤١ بعنوان « نظرة في الكلام المجازي » ولست أود ان اعيد هنا ما قلته هناك او اعيد منه قسماً كبيراً ولكن لا بد لي من تكرير التنبيه على وجوب مراعاة الطابع العربي جهد المستطاع . فهل يمكن اتفاق جماعة كبيرة من خدام لغتنا المحققين على وضع حدود ورسوم تفي بالمطلوب من جهة قبول ما يجب قبوله من مجاز الافرنج ورفض ما ينبغي رفضه . نعم اني ذكرت شيئاً غير يسير في كتابي « فن التعريب » ثم في مقالي الآنف ذكره ولكن الذي أوردته انما جاء على سبيل الاستئناس والتمثيل لا على سبيل التدقيق والاستيعاب مما لا يصح ان يدّعيه قلم واحد بل ليس من الحق ان يطالب به علم واحد . ولعلنا اذا تمت لنا هذه الأمنية ولو رويداً رويداً في مهلة سنوات تخلص وتخلص لسان مضر المبين من ركاكات ورطانات ومخافات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينصب علينا سيلها كل يوم وقد عرفنا أولها ولا نعرف كيف يكون آخرها ولا متى يكون ؟ تخلص من امثال هذه القوالب الافرنجية التي لم تجرِ قبل اليوم على لسان عربي ولا تناولها قلم عربي ولا تشربها ذوق عربي بل لم تخطر على بال واحدٍ من ابناء العروبة الصحيحة : يقولون « احترام عميق » عوض « احترام عظيم » و « مد اليه يداً مستحية » عوض « مد اليه يد الحياء — او — مد اليه يده مستحياً » و « جبهة هادئة متكبرة » عوض « جبهة عليها سمات الهدوء والتكبر » « و كنت اعده مثل بريء » عوض « كنت اعده بريئاً » وقولهم في توزيع عنوانات فرعية على موضوع يتناول سيرة احد العظماء : « فلان الشاعر — فلان الكاتب — فلان السياسي — فلان رب البيت » عوض ان يقولوا : « فلان شاعراً او كاتباً او سياسياً او رب بيت » ومن القوالب العربية أيضاً في مثل ما تقدم ان يقال : « فلان في كتابته او شعره او شاعريته او سياسته او معيشته البيتية » ويقولون « انه بهذا المقدار فاضل حتى يحب أعداءه » عوض « قد بلغ من فضله — او فضيلته — انه يحب اعداءه » او « ان فضيلته قضت عليه حتى بمحبة اعدائه » . و « فلان رغماً عن غناه بخيل » عوض « فلان على غناه بخيل » او « فلان بخيل مع ما هو عليه من الغنى » ويقولون « هذه النقطة من البحث » عوض « هذه الناحية من البحث — او — هذه الجهة من البحث او هذا الجانب منها » وأما النقطة في مثل هذا المقام من الكلام العربي فلا تبعد عن داء النقطة .... كما لا يبعد عن رعدة دور الحمى قولهم المتواتر في الترجمة السخيفة « فلان لعب في المسألة دوراً مهماً » عوض « كان له فيها مدخل كبير او شأن عظيم » .

وانكى من كل ما ذكر ان جماعة من كتابنا في هذه الأيام اولعوا بقولهم « الوطن الأم » ناقلين العبارة حرفياً عن اللغة الفرنسوية . والفرنسيون ينتظر منهم ان ينطقوا بما ذكر لأن لفظ الوطن عندهم مؤنث فيوافق ان ينعت بلفظ ام . وأما في العربية فالوطن مذكر والجدير به ان ينعت بالأب فيقال « الوطن الأب » واذا توسع قومنا في هذه الخطة بإلزام لغتهم العربية مماشاة لغة الفرنسيين تذكيراً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتأنيثاً فسنراهم غداً او بعد غد يقولون «شمس ساطع وقمر منيرة» لأن لفظ الشمس عند أولئك مذكر ولفظ القمر مؤنث.

هذا ما اشير اليه في المقام الحاضر من وجوب اتخاذ الحيطة لصون قوالبنا العربية ووقاية ما تخطه اقلامنا وتنطق به السنتنا من كل ركاكة وصبغة اعجمية ما دام استعرابها بين أيدينا امراً متيسراً . ولا يتوهمن القارئ من الانتقادات الآنف ذكرها اني اشير بالجمود والتقييد في كل اداء وكل تعبير . هيهات ذلك مما اعتقده واقصده هيهات وانا الذي قال في مقام آخر ولا أزال قائلاً به وهو هذا :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى اللغة العربية حسب لفظه وأسلوبه في الحالة الآتية : اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : «عقد حديثاً — ضرب العذر معقلاً — راية منصورة — عقل ناضج — صارع الشقاء — يقل الصولجان الخ» ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز مشاع تشبيهاً كان او استعارة او كناية فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص اللغات الافرنجية . ومن امثلته المنقول بنصه الى لغتنا قول بعضهم : «كانت تنظر بحنين الى طفلها وما هو الا وعاء فارغ ستملأه حادثات الليالي» وقول الآخر : «كان ذلك الفلاح النشيط وحوله أولاده وحفدته كالشجرة الباسقة كلها ثمرها الناضج» .

وعند هذا الحد أمسك القلم معيداً حث الهمم على تعبيد كل طريق وتمهيد كل عقبة بشأن ما ذكرته وما لم أذكره قصوراً مني او اقتصاراً من ميادين اللغة العربية والأدب العربي .

(اللاذقية) ادوار مرقص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net